انت بنفسك الى نبي الله وتدعو عليه وعلى المومنين وستنظر ما يفعل الله بك وبهم ولم ينزع فخلى
سبيلها فلما اطلع على الجبل ويدلبا الدعاء عليهم ولا يدعو عليهم بشئ الا انصرف لسانه على قومه
ولا يدعو لقومه بخير الا انصرف لسانه بموسى وقومه فقال له قومه اتدري ما تصنع انما انت
تدعو لهم وتدعو علينا فقال لهذا الخرما املكه على نفسي هذا شئ قد غلب الله علي به واخرج لسانه
فوقع على صدره فقال اذهب مني الآن دنياي واخرتي فلم يبق الا المكر والحيلة فامكر لكم وقصته
طويلة ولنكتف بما ذكرناه وكان في اخر الامر ان موسى عليه السلام دعا ربه على بلعم ان ينزع منه
الايمان فنزع الله تعالى عنه الايمان والمعرفة وسلخه منهما فخرجت من صدره كحمامة بيضاء
فذلك قوله تعالى فانسلخ منها فاعتبروا يا ايها العاقل من حال هذا ولم يكن منه الا زلة واحدة
مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة وترك لولي واحد حرمة واحدة سلب عنه معرفته وجعله
بمنزلة الكلب المطرود فقال فمثله كمثل الكلب فاوقعه في بحر الضلال والهلاك الى اخر الابد حتى
حكي عن بعض العلماء انه كان في اول امره بحيث يكون في مجلسه اثنى عشر الف محبرة للمتعلمين
الذين يكتبون الكتاب عنه ثم صار اول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع نعوذ بالله تعالى من الحور
بعد الكور قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا اقرأ عليهم اي على اليهود نبأ الذي
اتيناه اياتنا ولم يقل اية واحدة فانسلخ منها اي خرج من الايات كما ينسلخ الحية من جلدها
فاتبعه الشيطان اي صار الشيطان تابعا له وقرينا له فغنيه فكان من الغاوين من
الضالين من طريق الهدى ولو شئنا لرفعناه بها اي لعظمناه بالايات منازل الابرار من
العلماء يعني لو لزم العمل بعلمه بعد الايمان ولم ينسلخ منها لرفعناه درجته في الدارين ولكنه
اخلد الى الارض اي سكن الى الدنيا ومال اليها والى اهلها والارض ههنا عبارة عن الدنيا
لان ما فيها من العقار والرباع كلها ارض وسائر متاعها مستخرج من الارض والاخلاد هو الاقامة
والدوام قوله واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الايات وحقه
ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله
عليه فان حب الدنيا راس كل خطيئات واستوجب بالسكون الى الدنيا واتباع الهوى تغير النعمة
عليه والانسلاخ عنها ومن الذي يسلم عن هاتين الخلعتين الا من عصمه الله تعالى قال عليه السلام

ماذئبان

ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه قوله فمثله كمثل
الكلب فصفة ذلك العالم في الخسة والدناءة كمثل الكلب شبهه بتحقير اله وحط الشانه
ان تحمل عليه يلهث اي يطيل لسانه من فمه او تتركه يلهث اي دائما سواء حمل عليه بالطرد والزجر
او ترك ولم تعرض له بنحاره في سائر الحيوان لضعف فؤاده قيل كل حيوان يلهث من تعب وعطش
الا الكلب فانه في كل من الراحة والشدة يعني ذلك العالم يشبهه لانه ضال وعظته او لم تعظه
فضرب الله تعالى مثاله لمن كذب به وهذه اشد اية على العلماء الذين لا يعملون بعلمهم و
يميلون الى الدنيا واهلها وحاصل معنى هذه الاية انما انعمنا على هذا العبد بالنعم العظام
والايادي الجسام في باب الدين على ما مكناه بذلك من تحصيل الرتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة
على بابنا فيصير رفيعا عندنا عظيم القدر كبير الجلة ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا
الخسيسة الحقيرة واثر شهوة نفسه الدنية الرديئة ولم يعلم ان الدنيا كلها لا تزن عند الله
تعالى جناح بعوضة عند ادنى نعمة من النعم الدينية فكان بمنزلة الكلب الذي لا يعرف الاكرام
من الاهانة والرفعة والشرف من الحقارة وانما الكرامة كلها عنده في كسرة تطعم او عرق
عظم مائدة يرمى اليه سواء تقعده على سرير معلى او تقيمه في التراب والقذر بين يديك
نعمته وكرامته ونعمته كلها في ذلك فهذا العبد السوء جهل قدر نعمتنا حق قدرها اتيته
من كرامتنا فكلت بصيرته وساء في مقام القربة وادبه بالالتفات الى غيرنا والاشتغال
عن ذكرنا بدنيا حقيرة ولذة خسيسة فنظرنا اليه نظر السياسة واحضرناه ميدان العدل
وامرنا بحكم الجبروت فسلبنا جميع خلعتنا وكرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ
عنها عاريا عن جميع ما اتيناه من فضلنا فصار كلبا طريدا وشيطانا مريدا فجعلناه مثله
وسلفا للآخرين نكالا لما بين يديه من العالمين فانظر ايها العاقل حب الدنيا وشومها ماذا
يجلب للعالم خسة وفتنة فان الامر خطير والعمر قصير وليحذر العلماء الذين يميلون الى
الدنيا واهلها ويخالطون السلاطين والامراء ويجمع حطام الدنيا حلالا او حراما ويأخذون
الرشوة في الحكم والفتوى ويداهنون الظلمة ويحكمون بغير ما انزل الله تعالى ولا ينهون
الظالمين عن الظلم خوفا من سقوط منزلتهم عندهم وخوف قطع الجرايا التي تخرج من خزائنهم

Copyright © King Saud University